obeikandl.com

obeikandl.com

هيكل سرابيت الخادم

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٨ـ١٤٠] .

قال ابن كثير فى قصص الأنبياء ص٢٧٠ : لقد نطق بنو إسرائيل بالجهل والضلال ، وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاءهم به رسول ذى الجلال والإكرام وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصنامًا قيل: كانت على صور البقر وكأنهم سألوهم لم يعبدوها ؟ فزعموا أنها تنفعهم وتضرهم ويسترزقون بها عند الضروريات ؟ وكان البعض منهم وهم الجهال قد صدقوا هؤلاء الناس فى ذلك فسألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم أن يجعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة فقال لهم مبينًا أنهم لا يتعظون ولا يهتدون : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ثم ذكر نعمة الله عليهم فى تفضيله إياهم على عالمى زمانهم بالعلم والشرع والرسول الذى بين أظهرهم وما أحسن به إليهم وما امتن به عليهم من إنجائهم من قبضة فرعون الجبار العنيد وإهلاكه إياه وهم ينظرون وتوريثه إياهم ما كان فرعون وملؤه يجمعون من الأموال والسعادة وما كانوا يعرشون ، وبين لهم أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده لا شريك ، لأنه الخالق الرازق القهار ، وليس كل بنى إسرائيل

سرابيت الخادم

سأل عن هذا السؤال بل الضمير عائد على الجنس .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن سنان ابن أبى سنان الديلى عن أبى واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط ، والسدرة هى شجرة النبق ، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بها ويعكفون حولها فقال النبى ﷺ « الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ إنكم تركبون سنن الذين من قبلكم » ورواه النسائى عن محمد بن رافع عن عبدالرزاق به ورواه الترمذى عن سعيد ابن عبد الرحمن المخزومى عن سفيان بن عيينة عن الزهرى به ثم قال : حسن صحيح .

وقد روى ابن جرير من حديث محمد بن إسحاق ومعمر وعقيل عن الزهرى عن سنان بن أبى سنان عن أبى واقد الليثى أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله ﷺ إلى حنين قال : وكان للكفار سدرة يعكفون عندها ويعلقون بها أسلحتهم يقال لها : «ذات أنواط» قال : فمررنا بسدرة عظيمة خضراء، قال : فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال : «أقلتم والذى نفسي بيده كما قال قوم موسى ﴿ اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

والمقصود : أن موسى عليه السلام لما انفصل من بلاد مصر وواجه بلاد بيت المقدس وجد فيها قومًا من الجبارين من الحيثانيين والفزاريين والكنعانيين وغيرهم فأمر موسى عليه السلام قومه بالدخول عليهم فى بلدهم ومقاتلتهم وإجلائهم إياهم من بيت المقدس فإن الله كتبه لهم ووعدهم إياه على لسان إبراهيم الخليل وموسى الكليم الجليل ، فأبوا ونكلوا عن الجهاد ، فسلط الله

عليهم الخوف ، وألقاهم فى التيه يسيرون ويحلون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون فى مدة من السنين طويلة هى من العدد أربعون كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٠ ـ ٢٦] .

قال ابن كثير فى كتاب قصص القرآن يذكر نبى الله نعمة الله عليهم وإحسانه عليهم بالنعمة الدينية والدنيوية ، ويأمرهم بالجهاد فى سبيل الله ومقاتلة أعدائه فقال : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾ أى : تنقصوا على أعقابكم ، وتنكلوا على قتال أعدائكم : ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ أي : فتخسروا بعد الربح وتنقصوا بعد الكمال والحديث فى هذا الموضوع متصل بقصة موسى مع بنى إسرائيل لكن الذى يعنينا هنا هو طريق بنى إسرائيل فى سيناء بعد خروجهم من مصر ومرورهم على قوم يعبدون الأصنام ونظرهم إليهم وطلبهم من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا مثل هذه الآلهة أى الأصنام التى هى فى الغالب فى هيكل سرابيت الخادم والذى ذكره نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء ، فقال : هيكل سرابيت الخادم وآثار الفراعنة فيه .

أما سرابيت الخادم ، فجبل صغير مستطيل الشكل مسطح الرأس فى شمال بلاد الطور يعلو نحو ٢٦٥٠ قدمًا عن سطح البحر ، ويبعد يومين

بسير القوافل عـن ميناء أبو زنيمة ، وهو يطل من الشمـال على سهل الرملة الفسيح ونقب الراكـنة لعظيم فى ذلك الجبل عدن الفراعنة الفـيروز منذ عهد الدولة الثالثة إلى الدولة العشرين وتركوا فيه عدة مغاور كلهم فى الطبقة العليا من الجبل وهى تعلو نحو ١١٥٠ قدمًا طبقة الفيروز فى وادى المغارة وقد ترك المصريون فى هـذا الجبل هيكل سرابيت الخـادم ، فقد دلت مباحـث العلامة بنزى أن هذا الهـيكل هو من الأهمـية التاريخـية بمكان عظيم لأنـه حوى من الآثار الهيروغليفية ما أزال كثيرًا من الشكوك فى تاريخ مصر .

وأضاف ما معنـاه أن المصريين عندما جاؤوا للتعـدين وجدوا سكان هذه البلاد يعـبدون آلهة لهم رمزوا لـها بالأنصاب والأصنام ومنـها الإله «هاتور» والإله «سويدو» ، وترجع هذه العبـادة إلى عهد الملك سنفرو «٤٧٧٥ ق م»، وقد وجد فى هذا المكان تمثال صقر فكان هذا الـتمثال أقدم أثر للمصريين فى هذا الهيكل .

يقول نعـوم شقير علـى غرار هذا الهيكل بنـى موسى عليه السـلام لبنى إسرائيل خيمة الشهادة أو ما يسمى خيمة الاجتماع .

والذى يهـمنا هنا هو النـص القرآنى الذى يـصف حال بنى إسـرائيل مع موسى عليه السلام فـعندما عبر البحر ببنى إسرائيـل، ثم مر بهم على هيكل سرابيت الخادم ، فـنظروا إلى أهل هذا المكان يعبدون الأصنـام ، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا مـثل هذه الأصنام فعنفهم موسى عليه السلام قائلاً : ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ وذكر الله سبحانه ذلك فى القرآن الكريم .

قال ابن كثير فى كتابه قصـص الأنبياء : وذكروا أنهم لما جـاوزوا البحر وذهبوا قـاصدين إلى بلاد الشـام مكثوا ثلاثة أيـام لا يجدون ماء فتـكلم من

تكلم منهم ، بسبب ذلك فوجدوا ماء «زعافًا أجاجًا» ، لم يستطيعوا شربه، فأمر الله موسى فأخذ خشبة فوضعها فيه فحلا وساغ شربه وعلمه الرب هنالك فرائض وسننا ووصاه وصايا كثيرة .

وقد قال تعالى فى كتابه العزيز المهيمن على ما عداه من الكتب: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨، ١٣٩] .

قالوا : هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله وقدرته ما دلهم على صدق ما جاء به رسول ذى الجلال والإكرام ، وذلك أنهم مروا على قوم يعبدون أصنامًا ، قيل : كانت على صور البقر ، فكأنهم سألوهم لما يعبدونها؟ فزعموا لهم أنها تنفعهم وتضرهم ، ويسترزقون بها عند الضروريات ، فكأن بعض الجهال منهم صدقوهم فى ذلك فسألوا نبيهم الكليم الكريم العظيم أن جعل لهم آلهة كما لأولئك آلهة فقال لهم مبينًا لهم إنهم لا يعقلون ولا يهتدون : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، ثم ذكرهم بنعم الله عليهم فى نجاتهم من قبضة فرعون وبين لهم أنه لا تصح العبادة إلا لله وحده لا شريك له .

ونحن نتحدث فى هذه القصة ليس عن ما جرى فيها من أحداث الشريعة والمخالفات الإسرائيلية ، ولكن نثبت هاهنا أن المكان الذى مر فيه بنو إسرائيل هو سرابيت الخادم الذى وصفه نعوم شقير فى كتابه تاريخ سيناء ص٤٦٤ حيث قال : أما سرابيت الخادم فجبل صغير مستطيل الشكل ، مسطح الرأس فى شمال بلاد الطور يعلو نحو ٢٦٥٩ قدمًا عن سطح البحر ثم قال : وهذا الهيكل كان فى أول نشأته كهفًا صغيرًا منحوتًا فى سطح أكمة صغيرة على

سطح الجبل وله باب صغير إلى الغرب وقد أقيم لعبادة هاتور آلهة الشمس أو النور الملقبة بسيدة الفيروز وهى معبودة سكان البلاد الأصليين، ولعلها عشتروت معبودة الفينيقيين المشهورة ، فلما جاء المصريون لتعدين الفيروز فى سرابيت الخادم عبدوا هذه الآلهة بالطقوس التى كان يعبدها بها أهلها الأصليون على عادة تلك الأمصار عن عبادة الأجنبى آلهة البلاد التى ينزلها وممارسته طقوس أهلها .

هذا ويعود كهف الآلهة هاتور إلى عهد الملك سنفرو «٤٧٥٠ ق م» المار ذكره وقد وجد فيه شعاره ، وهو تمثال صقر ، فكان هذا التمثال أقدم أثر للمصريين فى ذلك الهيكل ، ثم أخذ الملوك من بعده يبنون الغرف حتى عهد الدولة العشرين المصرية ثم قال : «الأنصاب» وكلما بنى ملك غرفة فى الهيكل جعل أمامها نصبين يدلان على مدخل الهيكل ، وكان الخلف يبقى على النصبين فيبنى غرفة متصلة بهما ، ويجعل أمام الغرفة نصبين آخرين يدلان على مدخل الهيكل الجديد وهكذا .

وهذه الأنصاب هى التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى سورة الأعراف فى قوله تعالى : ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثم قال نعوم شقير فى ص٤٦٨ : وأحدث أثر فى الهيكل كتابه على عمود فى إحدى الغرف لملك رمسيس السادس سنة ١٦٥٦ : ١١٦١ ق م من ملوك الدولة العشرين ، ثم يقول : وجميع ما فى الهيكل من بناء وأنصاب مأخوذ من مقلع حجرة رملى قرب الهيكل ، وقد سمى هذا الجبل سرابيت الخادم نسبة لهذه الأنصاب ، لأن السربوت فى عرف أهل سيناء

الصخـرة الكبيرة القـائمة بتفسـها وجمعـه سرابيت الخادم ، عنـدهم الجارية السوداء فلعلهم نسبوا هذا السرابيت إلى الخادم ، لأن الصور التى فى الهيكل تشبه الخدم السود والله أعلم.

ثم قال : أما غرف الهـيكل فقد كان المعدنون ينامون فـيها على رجاء أن ربة الهيكل ، وسـيدة الفيروز تهديـهم إلى المحل الذى يكثر فيـه الفيروز فى أحلامهم وهم نائمون بالهيكل وقـد كانت عادة الساميين أنه إذا طلب أحدهم الاستشفاء من برص أو أحب الاهتداء إلى سـبيل ينقذه من شر أو يوصله إلى خيـر ذهب إلى الهـيكل ، ونام فيـه أو فى جواره ، ليـرى فى الحلم وحـيًا يوصله إلـى الغرض المنشـود ، ولا تزال هذه عادة الـنصارى فى الشـرق إلى اليوم .

ثم يقـول نعوم شقـير فى ص٤٧٠ : هذا وقد وجـد العلامة بـترى بين أنقاض الهيكل كثـير من الدمى والتماثيل والدمى والآنية الزجـاجية والعمائم والأسورة والحجول والخـواتم والكؤوس والآنية الفخارية عليهـا أسماء بعض الفراعنة وقضبان العاج ونحوها ، مما كان يقدمه المتعبدون هدايا لسيدة الفيروز وقد وجد فى كـهف سويدو حجرين من الحـجارة الرملية المخروطـية الشكل التى اعتاد الساميون تقديمها لآلهتهم فأخذها إلى المتحف البريطانى بلندن .

●● ●● ●●